أهمية الصلاة في الإسلام

الصلاة أول عبادة فرضت على المسلمين، فقد فرضت قبل الهجرة بثلاث سنوات، وقيل بسنة أو ستة أشهر، وكانت طريقة فرضيتها دليلاً على عناية الله بها، إذ فرضت العبادات كلها في الأرض، وفرضت الصلاة وحدها في السماء، ليلة الإسراء والمعراج بخطاب مباشر من رب العالمين إلى خاتم المرسلين، ويجعلها الرسول ﷺ الدليل الأول على التزام عقد الإيمان، والشعار الفاصل بين المسلم والكافر لقوله [عليه الصلاة والسلام]: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[1].

وقد استدل بعض العلماء على كفر كل من تارك الصلاة ومانع الزكاة، من قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[2]. إن الله

(1) رواه الإمام أحمد ومسلم وأصحاب السنن.

(2) سورة التوبة، الآية: 11.

سبحانه وتعالى اشترط في هذه الآية لتحقيق الأخوة في الدين، والدخول في الإسلام ثلاثة أشياء: (التوبة من الكفر وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة) فانتفاء أحد هذه الثلاثة يقتضي انتفاء ما جعلت شرطاً له وهو الإسلام.

وقد سئل أحد العلماء: ما بال الزاني لا تسميه كافراً، وتارك الصلاة تسميه كافراً، وما الحجة في ذلك؟ فقال: لأن الزاني إنما يفعل ذلك لمكان الشهوة لأنها تغلبه، وتارك الصلاة لا يتركها إلا استخفافاً، فليس يكون قصده لتركها اللذة، فإذا نفيت اللذة وقع الاستخفاف، وإذا وقع الاستخفاف وقع الكفر والعياذ بالله تعالى.

وتتميز الصلاة عن بقية العبادات بالأمور التالية:

1 - إن الدولة حينما تكتب إلى سفيرها كتاباً في أمر من الأمور، فيكون هذا الأمر عادياً، أما إذا كان الأمر بالغ الأهمية فإنها تستدعي سفيرها، ومحمد ﷺ سفير الله إلى الخلق، فقد استدعاه الله في ليلة الإسراء والمعراج ليخاطبه بفرض الصلوات، وما ذلك إلا دليلاً على سمو منزلة الصلاة وأهميتها عند الله، في حين أن بقية الفرائض فرضت على الأرض بواسطة جبريل عليه السلام.

2 - الإسراء والمعراج دليل على تكريم رسوله ﷺ

من حضرة ربه، وبما أن رسول الله ﷺ يحب أمته ويريد أن تنال أمته هذا القرب، لذلك فقد أرجعه الله سبحانه وتعالى بتحفة وهدية إلى من يؤمن به لتكون وسيلة إلى القرب أيضاً لقوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾، فكأن السجود هو الذي أظهر مظاهر الخضوع في الصلاة وهو الذي يقرب الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى.

3 - نلاحظ أن المؤمنين الذين يواظبون على الصلوات نادراً ما نجد منهم من يرتكب المعصية، إذا كانت الصلاة حقيقية كما يريدها الله ورسوله؛ بخلاف بقية الفروض، من زكاة، وصوم، وحج، فإنك تجد من يقوم بهذه الفروض وقد ترك فريضة الصلاة، فإنه غالباً لا ينتهي عن ارتكاب المعاصي.

وما ذلك إلا لأن الصلاة هي الشحنة التي تشحن المؤمن ليُقبل على أوامر ربه بجد واجتهاد، ولأن الشحنة هي الأساس الذي سيحرك هذا - الموتور - الإنساني. كما أن الله سبحانه وتعالى يصلح عبده الذي يقف بين يديه في لحظة القرب، لأنه صنعته، فيخرج من مقام ربه وقد ارتاحت نفسه وتبددت همومه وقويت طاقته.

4 - إن الله سبحانه وتعالى لما خلق السموات السبع ملأها بالملائكة، وجعل لكل أهل سماء نوعاً من أنواع

العبادات، فأهل سماء قيام على أرجلهم، وأهل سماء ركع، وآخرون سجد، وأهل سماء يسبحون بحمد الله، وغيرهم يستغفرون لأهل الأرض، وهكذا.. فكرامة للمؤمنين من أمة محمد ﷺ جعل الله تعالى ذلك كله في صلاة واحدة، حتى يكون لهم حظ من عبادة أهل كل سماء، وزادهم القرآن الكريم يتلونه في كل صلاة.

5 - قال (العلائي) في تفسير سورة العنكبوت: «الصلاة عرس الموحدين تجتمع فيها ألوان العبادات، كما العرس يجتمع فيه ألوان الطعام».

فإذا صلى العبد ركعتين يقول الله تعالى: «**عبدي مع ضعفك أتيت بألوان العبادات قياماً وركوعاً وسجوداً وتهليلاً وتكبيراً وسلاماً؛ فأنا مع جلالي لا يجمل مني أن أمنعك جنة فيها ألوان النعيم، أوجبت لك الجنة ونعيمها كما عبدتني بأنواع العبادات، وأكرمك برؤيتي كما عرفتني بالوحدانية فإني لطيف أقبل عذرك وأقبل منك الخير برحمتي، فإني أجد من أعذبه من الكفار وأنت لا تجد إلهاً غيري يغفر سيئاتك**» انتهى.

بالإضافة إلى ما ذكر من الأفعال والأذكار المختلفة في الصلاة التي يتلذذ بها صاحبها في الصلاة، كما يتلذذ بأنواع الأطعمة والأشربة الفاخرة.

فقد تضمنت الصلاة أيضاً أركان الإسلام التي عناها رسول الله ﷺ في الحديث الشريف: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً**».

وهذه الأركان قد لا توجد تامة إلا في البعض من الناس، لأن المسلم قد يكون فقيراً فيسقط عنه فرض الزكاة، وقد يكون مريضاً أو مسافراً فلا يصوم، وقد لا يستطيع الحج فيسقط عنه فرض الحج، وأما شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فيكفيك مرة في العمر معتقداً بها وما بقي من الأركان إلا الصلاة وهو الركن الوحيد الذي لا عذر فيه للمسلم مطلقاً لا في الحرب ولا في السلم، ولا في السفر ولا في الحضر وهو الركن المكرر، وهذا هو معنى الحديث الشريف: «**الصلاة عماد الدين**».

فالصلاة فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

والصلاة فيها إيتاء الزكاة: والزكاة هي شيء من مالك أخرجته للفقير، والمال في عرف الإسلام فراغ الوقت، لأن العمل يحتاج إلى الوقت فكأنك ضحيت ببعض

الوقت الذي تعمل به لأجل كسب المال، فعندما تقتطع جزءاً من الوقت للصلاة فكأنك اقتطعت جزءاً من المال الذي هو ناشئ عن العمل.

والصلاة فيها صوم: لأن الصوم هو الإمساك عن شهوتي البطن والفرج وكذلك في الصلاة تمسك عن شهوتي البطن والفرج والحركة والكلام الدنيوي؛ إذاً ففيها لون من الصيام متعلقاته في المنع أوسع من متعلقات الصيام.

والصلاة فيها حج: لأنك تستحضر في صلاتك بيت الله الحرام وتتجه نحوه، فلا عجب إذاً أن تكون الصلاة آخر كلام رسول الله ﷺ: «**الصلاة.. الصلاة.. إنكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعاً**» وكان رسول الله ﷺ يذكر الأشياء التي يسر ويفرح بها ويقول: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**» يعني أنها أعظم شيء يفرح به. ذلك لأن السبب الأول في البعد عن رحمة الله هو ترك الصلاة لقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾[1].

وقد روي عن ابن سيرين أنه قال: «لو خيرت بين

(1) سورة المدثر، الآيتان: 42، 43.

ركعتين وبين الجنة لاخترت الركعتين، لأن في الركعتين رضاء الله تعالى، وفي الجنة رضائي».

وكانت رابعة العدوية [رحمها الله تعالى] تصلي في اليوم والليلة أربعمائة ركعة وتقول: «والله ما أريد بها ثواباً، ولكن ليسرَّ ذلك رسول الله ﷺ ويقول للأنبياء عليهم السلام: «انظروا إلى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة».

obeikandl.com